تمـهيــد:

يحتـاج الـدّارس و هـو يحـاول ولـوج عـالم ابـن عمّـار الأدبـي بوجـه عـام ، وفضـائه الشّعري على وجه الخصوص أن يستجلي مكنونات نفسـه ، و يكتشف غوامض شخصيته ؟ و لن يتأتّى له ذلك إلا بتتبّع مراحل حياتـه التـي كـان لهـا انعكـاس كبيـر علـى شعره الـذي قد يمثل خلاصة عوامل وراثيّة ، و تنشـئة اجتماعيّة و بيئيـة خاصّة و عناصر ثقافية مختلفة .

و هو ما يدفعنا إلى أن نورد بعض الومضات من حياة هـذا الشّاعر لعلّهـا تكون خير معين في الكشف عن موهبتـه الأدبيـة المتميزة ،و تنير بعض الزوايـا المظلمـة التّـي ظلّت تكتنف شخصيّة ابن عمّار بعدّها من الشّخصيات المثيرة للفضـول و لاستغراب ، حيـث ظلّ سوء الحظ و البؤس يطاردانـه فـي حياتـه و بعد مماتـه ، و الغموض و اللّبس يسربلان جوانب حياته من ميلاده إلى وفاته ، و متناقضـات حياتـه تثير الدهشـة و تدعو إلـى العجب، ولا نجـد مصـطلحا يمكـن أن نصـف مـن خلالـه حيـاة هـذا الرّجل بكل مراحلهـا وأحـداثها الغنية ، أفضل من مصـطلح الاختلاف المـؤدي إلـى التّنـاقض الصّـارخ بخصـوص الأحكـام المتعلقة به ، و سنرى بعضًا من مظاهر هذا الاختلاف بقليل من التفصيل :

1 – الشّـاعر :

1-1- اسمــه و نسبــه :

ورد ذكر شاعرنا في كثير من المصـادر القديمـة – باسم– **" أبو بكر بن عمّـار "** [1].
كما ورد في بعض المصادر الأخرى باسم **" محمّد بن عمّار بن الحسين بن عمّـار المّهري**

---

[1] – انظر : - ابن سعيد الأندلسي . رايات المبّرزين و غايات المميّزين . تحقيق : النعمان عبد المتعال القاضي . لجنة إحياء التراث الإسلامي . مصر . القاهرة . ط 4 . 1973 .ص 55 .
- الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس . ج1 : ص 148 .

" [1] ، و انفرد **ابن الآبار** بذكر اسم " **محمّد بن عمّار بن الحسين بن عمّار**"[2] ، و كنيته " **أبو بكر** " [3] .

كان ابن عمّار متكتما على حياته الخاصة أشد ما يكون التكتم ، فلم يتعرض في شعره لا من قريب ولا من بعيد إلى أصله أو نسبه أو ظروف نشأته و أسرته ، إلا ما صرح به الشّاعر نفسه في قصيدة قالها في المعتضد بن عباد ، منها قوله [4] :

سَتنْصرُهُ مِنْ مَهْرة َالخَيْلُ تَرتمَي بأعْلاِم نَصْرٍ فِي الوَغـَى و تَؤوبُ.

أو كما جاء في قصيدة أخرى أرسلها إلى المعتمد يمدحه و يشكو له آلام الغربة التي يعانيها بعد أن فرق بينهما أبوه المعتضد بن عباد قوله [5] :

وَ مَا حالٌ مَنْ خَلّىَ بلاد أعَاربٍ و ألقَتْ بِهِ الأقدَارُ بين أعَاجِمِ.

و قد يعود عدم تصريح ابن عمّار بنسبه لشعوره بالخجل أو بالنّقص ، و هو الطموح الذي أراد بلوغ أعلى المناصب فخشي أن تستغل هذه النقطة ضده ؛ وجل ثقاة المؤرخين الأندلسيين كابن بسام و ابن خاقان و عبد الواحد المراكشي لم يشيروا

هم أيضًا إلى هذا النسب رغم أنهم أطنبوا في الحديث عن الشّاعر ، و عنوا بأخباره [1].

---

(1) ــ انظر : عمر فروخ . تاريخ الأدب العربي " الأدب في المغرب و الأندلس منذ الفتح إلى آخر عصر ملوك الطوائف " . دار العلم للملايين . بيروت .لبنان .ط2 . 1984 . ج4 : ص 638 . و محمد العريس . موسوعة شعراء العصر الأندلسي . دار اليوسف . بيروت . لبنان .ط1 . 2005 . ص237 .

(2) - انظر : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبّار . الحلّة السّيراء . حققه و علق على حواشيه : حسين مؤنس . دار المعارف . القاهرة . ط2 . 1985 . ج2 : ص 131 .

(3) - أنظر : أبو الحسن علي بن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق : إحسان عباس . الدار العربية للكتاب . ليبيا . تونس . 1981 . القسم الثاني . المجلد الأول : ص 413 . و أحمد بن محمّد المقري التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر . بيروت . لبنان .(د.ت).ج1: 297. و أبو العباس شمس الدين أحمد أبي بكر بن خلكان . وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان . تحقيق : إحسان عباس .دار صادر . بيروت . لبنان . 1977 . ج4: ص 426 .

(4) ــ مصطفى الغديري .شعر محمّد بن عمّار الأندلسي . مطبعة شمس . المغرب . ط1 . 2001 . ص26 .

(5) ــ مصطفى الغديري. المصدر نفسه . ص 101 .

في حين أن المقري أورد في كتابه نفح الطّيب ، نسب ابن عمّار ، حيث قال : «أنه ينسب إلى قبيلة مهرة بن حيدان ابن عمروا بن الحالف بن قضاعة» [2] ، ومهرة فرع من قضاعة ، و هي قبيلة عربية ذات أصل يمني [3] ، و ذكر ابن خلكان أنها « قبيلة كبيرة ينسب إليها خلق كثير » [4] ، و هذا ما نفاه صلاح خالص الذي شكّك في ادّعاء هذا النّسب، وفي صحة انتمائه إليها – مهرة – قائلا :« إن كثير من الناس قد ادعوا الانتساب إليها في الأندلس آنذاك» [5] .

مما سبق يتضح التشكّيك في نسب ابن عمّار . و لعل محمّد بن عمّار الأندلسي هو الاسم الذي عرف به ، و بذلك يتفق صلاح خالص مع غيره من المؤرخين .

1-2- مولده و حياته :

ولد أبو بكر محمّد بن عمّار سنة 422 هـ (1031 م) [6] بقرية شنّبوس (أو شنتبوس أو شنبوش) الصغيرة قرب مدينة شِلْب [7] من أسرة متواضعة مغمورة لم يكن لها في الظهور شأن ؛ و يؤكد صاحب المعجب ذالك و يعمم وضاعة نسبه يقول:« كان ابن عمّار خامل البيت ليس له ولا لأسلافه في الرياسة في قديم الدهر ولا حديثه حظّ ، ولا ذُكِرَ منهم بها أحد » [1].

---

(1) – صلاح خالص . محمّد بن عمّار الأندلسي – دراسة أدبية و تاريخية – مطبعة الهدى . بغداد . 1957 . ص19 .

(2) – أحمد بن محمّد المقري التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ج1 : 297 .

(3) – انظر : الرومي ياقوت الحموي . معجم البلدان . دار صادر للطباعة و النشر . بيروت. 1957 . ج5 : ص 243.

(4) – أبو العباس شمس الدين احمد أبي بكر بن خلكان . وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان . ج :ص 428 .

(5) – صلاح خالص . محمّد بن عمّار الأندلسي – دراسة أدبية و تاريخية – ص 19 .

(6) – أبو العباس شمس الدين أحمد أبي بكر بن خلكان . وفيات الأعيان و أنباء هذا الزمان. ج4 : ص 425 .

(7) – شِلْب : مدينة بغربي الأندلس و هي غربي قرطبة ، و يطلق عليها " silves" . و هي مدينة صغيرة توجد حاليًا بجنوب البرتغال ، تابعة لمديرية " الغرب " Algarve . انظر : موجزا لتاريخها في العصور الإسلامية في . بطرس البستاني . دائرة المعارف الإسلامية . بيروت . ط1 . 1976 . ج4 : ص443. وياقوت الحموي . معجم البلدان . ج3 : ص 357 .

(1) – أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . شرحه و اعتني به : صلاح الدين الهواري . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .ط1 . 1426 هـ - 2006 م . ص88 .

و كانت أمه تسمى " شمسة " أو " شُميسة " – بالتصغير – كما ورد ذكرها في قصيدة المعتمد بن عباد يعرض فيها بابن عمّار بعد أن ساءت العلاقة بينهما ، يقول [2] :

يَا شَمْسُ ذَاك القَصْر كَيفَ تَخَلّصَتْ فِيهِ إليكِ طَوَارق الأقدَار.

و قوله : (يا شمس ذاك القصر) كانت والدة ابن عمّار، و تدعى شمس مصغرة [3].

و فد ابن عمّار مع أسرته إلى مدينة " شِلْب" في طفولته حيث نشأ بها، و ترعرع وتلقى دراسته الأولى في الكُتّاب ، و تعلم على شيوخ العربية في هذه المدينة التي كانت تعبق بشذا الإبداع الشّعري في جميع أرجائها [4] ، و أخذ على أمثال أبي الحجّاج يوسف بن الأعلم الشنتمري ، ثم رحل إلى قرطبة ، و هناك استيقظت ملكته الشّعرية ، على شيء غير قليل من ضنك العيش و بؤسه ، فتأدب بها [5] .

و لمّا اكتملت له العدة في علوم العربية، و تفتّق شعره، وعلت كتابته عاد إلى " شِلْب" مرابع صباه ، و جعل يقول المدائح فيمن يمنحه العطاء [6] ، من أجل سد لقمة عيشه ؛ ثـمَّ قصد إشبيلية عاصمة بني عباد حُماة الشّعر ومتذوقيه ، و هي تعج بالشّعراء الفطاحل - آنذاك - من أمثال أبي الوليد بن زيدون [7] ،

و أبي محمّد بن عبد البر [1] ، و علي بن حصن الأشبيلي [2] ، و المعتضد بن عباد ، وابنه المعتمد ، و غيرهم من الشّعراء .

---

[2] ــ محمّد رضا الحبيب السويسي . ديوان المعتمد بن عباد الاشبيلي .دار بو سلامة للطباعة و النشر و التوزيع .تونس. 1975.ص 142.

[3] ــ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي بن الأبار . الحلة السيراء .ج 2: ص 157.

[4] ــ علي بن موسى ابن سعيد الأندلسي . المُغرب في حَلَى المغرب . تحقيق : شوقي ضيف . دار المعارف .مصر . ط 4 . 1993 . ج1 : ص 380 - 394.

[5] ــ انظر : أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 88 .

[6] ــ أنخل جنثالث بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسي . نقله عن الإسبانية : حسين مؤنس . مكتبة الثقافة الدينية . بور سعيد . القاهرة . 1955 .ص 89 .

[7] - أبي الوليد بن زيدون : هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشّاعر المشهور ، كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة . برع أدبه ثمّ انتقل عن قرطبة إلى اشبيلية سنة 441 هـ إلى أن توفي فيها سنة 463 هـ . انظر : أبو عبد الله بن نصر الحميدي . جذوة المقتبس تاريخ علماء الأندلس . تحقيق : إبراهيم الأبياري . دار الكتاب اللبناني . بيروت . لبنان . ط2 . 1983 . ص 121 . و الفتح بن خاقان . قلائد العقيان في محاسن الأعيان . قدم له و وضع فهارسه : محمد العنابي . المكتبة العتيقة . تونس . 1966 . ص 209 .

[1] ــ انظر : هذا البحث .ص21.

[2] ــ انظر : هذا البحث . ص 22.

وفي إشبيلية عاصمة بني عباد ، حاول ابن عمّار أن يبحث عن موقعاً ومكانةً فيها ، بعد أن سمع الأخبار المثيرة عن مَلِكها الذي كان أندى ملوك الأندلس راحة في ÷الكرم الجزيل ، و العطاء الوفير " [3] لمن يمدحه و يخلد مآثره و أخباره ، فأقدم على مدح المعتضد ليجرب حظه بمطولته الرائية التي قالها بمناسبة انتصاره على باديس بن حبّوس [4] أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، و مطلعها [5] :

أدِر الزّجَاجَة فالنسِّيمُ قدِ انْبَرى   و النّجْمُ قَدْ صَرَفَ العِنانَ عَن السُّرى .

و قد ذكر فيها غلبة المعتضد على البربر، و هي قصيدة طويلة استحسنها الملك المنتصر ، و أمر له بمال و ثياب و مركب ، و أوصى أن يكتب اسمه في ديوان الشّعراء [6] ؛ ومنذ ذلك الوقت ارتفع أمر ابن عمّار، و تعلق بالمعتمد الأمير تعلقًا أصبح حديث الناس فيما بعد [7] .

و لما ولي المعتمد على شِلْب من قبل أبيه استوزر صديقه ابن عمّار في تلك الولاية و سلم إليه جميع أموره ، فغلب عليه ابن عمّار غلبة شديدة، و ساءت السمعة عنهما، واقتضى نظر المعتضد التفريق بينهما، وتمّ نفي الوزير كي لا يفسد الوالي الابن.

وعن تلك السمعة السيئة و الأحاديث التي راجت عنهما و التي حدث بالمعتضد أن يبعد ابن عمّار عن ابنه تحدثنا الروايات[1] التي ذكرت أن المعتضد خشي على ابنه انصرافه إلى اللهو و الإسراف فيه إلى درجة تجعله يهمل عمله و هو الذي وطد عزمه على فتح البلاد و تثبيت أمره فيها . أو لعله كان أبعد نظرًا من ابنه المعتمد فخاف أن تمتد سلطة ابن عمّار و تكون خطرًا على مملكة إشبيلية ؛ و قد صح خوف المعتضد ، و قويت شوكة ابن عمّار لما أرجعه المعتمد إلى ملكه، و طمع في التفرد بحكم مرسية التي استولى

---

(3) ـــ محمّد مجيد السّعيد . الشّعر في ظل بني عباد . ص 80 .
(4) ـــ باديس بن حبّوس :هو باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجي. البربري، لقبه «المظفر بالله». كنيته أبو منّاد . تولى ملك غرناطة بعد وفاة أبيه حبّوس وتنازل له عنها أخوه بلقين (بلكين) سنة 428 هـ . خاض الكثير من الحروب ضد ملوك الطوائف الآخرين ، كان قاسيًا ، فظًا غليظًا ، لكنه حسن السياسة ، توفي سنة 465 هـ . انظر : الفتح بن خاقان . قلائد العقبان في محاسن الأعيان . ص 20 .
(5) ـــ مصطفي الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي . ص 65 .
(6) ـــ أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 89 .
(7) ــانظر : هذا البحث .ص 50و ما بعدها.
(1) ـ أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 90.

عليها المعتمد ، و ربما كان أمره يصل إلى أبعد من ذلك لو لم يتدارك المعتمد الخطر بقتله ، و هو ما سيتطرق إليه البحث لاحقاً.

و هكذا أبعد المعتضد ابن عمّار عن ابنه بنفيه من البلاد ، و بقي ابن عمّار منفيا عن إشبيلية طيلة حكم المعتضد . و عاد إلى الطواف في أنحاء الأندلس يمدح ملوكها . و أقام مدة في سرقسطة [2] و في لاردة [3] . و كتب في أثناء تشرده قصيدته التي يحن فيها للمعتمد، و يصف سوء حاله .مستعطفاً قلب مبعدِه ،و يقـول [4] :

عَليّ وَ إلاّ مَا نِيـاحٌ الحَـمائِمِ وَ فيّ ، وَ إلاّ مَا بَكاءُ الغَمَائِمِ ؟

وَ عَني أثارَ الرَّعدُ صَرْخة طَالبٍ لثــأرٍ وَ كفـرّ البَــرقُ صَــفحَة صَارمٍ.

وَمَا لبِستْ زُهرُ النّجومِ حِدَادَها لِغَيرِي و لاَ قَامَت لَه في مَآتِمِ.

و يصل إلى مدح المعتضد مشيدًا ببطولاته،معددًا فضائله،مخلدًا محامده، يقول [5] :

إذا رَكِبوا فأنْظرْه أوّلُ طاعِنِ وَ إنْ نَزلوُا فارْصُده ُأخِر طَاعِمِ .

و القصيدة طويلة تنيف على التسعين بيتًا ، و لعل مدحه للمعتضد من باب التزلف إليه كي يرجعه . و هو ما تحقق له، و لكن بعد موت الأب الملك و تولي المعتمد ناصية الحكم . و أسند إليه أمر وزارته و كان يرسله في مهمات سياسية و قيادات حربية [1] . و قد قام ابن عمّار بهذه المهام ببراعة ودهاء ، « فكان لا يناط به أمر إلا اضطلع به(...) و اشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الروم الأذفونش إذا ذكر عنده ابن عمّار قال **:** هو رجل الجزيرة **!** » [2].

---

[2] – سرقسطة : Zaragoza ، أو الثغر الأعلى الذي يشمل سرقسطة و أعمالها تيطلة ، و شقة ، بربشتر، لاردة ، طركونة ، طرطوشة ، و هي أطيب البلدان ، ذات فواكه مغذية ، و هي مبنية على نهر كبير و أكثر بنيانها من الرخام ، و تسمى بالمدينة البيضاء. انظر : ياقوت الحموي. معجم البلدان .ج3 : ص 212 و ما بعدها .

[3] - لاردة : مدينة تقع غربي برشلونة ، تتصل أعمالها طركونة ، و فيها عدد من الحصون ، سقطت سنة 544 هـ . انظر : ياقوت الحموي . معجم البلدان .ج 5 : ص 104.

[4] - مصطفي الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي . ص 98 .

[5] - مصطفي الغديري . المصدر نفسه . ص105 .

[1] – انظر تفصيل ذلك في : صلاح خالص. محمّد بن عمّار الأندلسي– دراسة أدبية وتاريخية – ص 84-85.

[2] – أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 91 .

و قد دامت صحبة المعتمد لابن عمّار طويلاً وظلّ وزيره و مساعده في تدبير أعماله في الحكم [3] ، يقوم لديه ببعض السفارات، و يتقلد له قيادة الجيوش للفتوحات، و يساعده في الذود عن مملكته بالحرب تارة و بالحيلة طورًا ،كما فعل بالأذفونش الذي احتال عليه، و أغراه بأخذ رقعة شطرنج جميلة الصنع، و أخذ منه مقابلها وعدًا بأن يتراجع عن بلاد المعتمد التي قصدها طامعًا في أخذها[4] . و ظلّ ابن عمّار في الوقت نفسه جليس الملك و نديمه و رفيقه . و قد كان للحاكم الشّاب من جاهه و شبابه وترفه ما يفسح أمام النديم فرص اللّهو و التسلية و إطلاق العنان لروح الشّاعر فيه الغالبة لصرامة الملك و المحبة للإنطلاق بين الآونة و الأخرى من جوِّ السياسة و الحكم إلى جو اللهو والظرف الحر في مجالس الشّرب و الشّعر؛ و قد صحب المعتمد ابن عمّار ليزيد مجالس أنسه امتاعًا و سحرًا ؛فكان إذا دعا أصحابه أمره أن يكون أول داخل و آخر خارج ليأنس به و يتمتع بأدبه . و كان يستدعيه كلما حن إلى مجلس أنس و قول شعر .

ارتفع اسم المعتمد بن عباد في البلاد ، و حسبت له دويلات الأندلس حسابًا كبيرًا « و استفل أمره بغرب الأندلس وعلت يده على من كان هناك من ملوك الطوائف مثل ابن باديس بغرناطة و ابن الأفطس ببطليوس ، **و** ابن صمادح بالمرية و غيرهم ، فكانوا يخطبون سلمه و يغلون في مرضاته » [1].

ولكن المعتمد كان أبعد في طموحه من ذلك و أراد أن يسير في حروبه حتى يستولي على أكثر مدن الأندلس؛ فقد وجه همه بعد قرطبة [2] . إلى مرسية- أو كورة تدمير كما كانت تعرف في ذلك الوقت -بإغراء من وزيره صاحب الحظوة الذي أدرك بفطنته و دهائه أنه لا يستطيع الإستيلاء وحده على مدينة أبي عبد الرحمان ابن طاهر [3] ، وقرر أن

---

[3] – استمرت العلاقة الحسنة بينهما أعوامًا طويلة حتى شبنها بعض المصادر التاريخية بالعلاقة التي كانت قائمة بين هارون الرشيد و جعفر البرمكي ، هذا الأخير المسمى بأبو الفضل ، جعفر بن يحي بن خالد البرمكي، وزير الرشيد العباسي . ولد ونشأ ببغداد ، و كان الرشيد يدعوه : أخي ، فانقادت له الدولة ، و كان جعفر البرمكي يحكم بما شاء فلا تُرَدُّأحكامه ، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة ، فقتله في مقدمتهم . انظر هامش : أبي محمد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 91.

[4] – انظر: ابي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجم في تلخيص أخبار المغرب .ص 91-92.

[1] – أحمد بن محمّد المقري التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الوطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بني الخطيب . ج1 : ص 287 .

[2] – انظر : هذا البحث .ص

[3] - عبد الرحمن بن طاهر : هو محمّد بن أحمد بن طاهر ، صاحب مرسية التي انتزعها منه ابن عمّار في حملته الثانية ، حيث ترك ابن رشيق عليها بعد أن فرض عليها حصارًا ، أمر بقطع المواد الضرورية على أهلها

يطلب معونة ريموند أمير برشلونة [4] ، فأمده هذا بجيش يساعده لقاء مبلغ من المال يعطيه إياه المعتمد ، و تأكيدًا على ذلك أعطاه ابن عمّار الرشيد بن المعتمد رهينة و أخذ ابن أخيه رهينة عند المعتمد .

و لما كانت جيوش إشبيلية و برشلونة على أهبة المسير إلى مرسية تباطأ المعتمد في إعطاء المال ، فانقلب ريموند على ابن عمّار و أمر بإلقاء القبض عليه و على الرشيد ، و كان المعتمد يسير في جيش آخر إلى مرسية عندما ورد إليه خبر من ابن عمّار يتعجله في فك أسره و أسر الرشيد ؛ فاستشاط المعتمد غضبًا ، و أمر أن يوضع ابن أخي ريموند في الأغلال ؛ على أن المعتمد أجبر فيما بعد على رد رهينته إلى ريموند و رفع المال ليفك أسر ابنه و وزيره ، ويرجع صاحب كتاب (ابن عمّار الأندلسي) أنّ الملك لم يكن معه ما يكفي من المال فاضطر إلى تزييف النقود ، وهكذا انتهت هذه المحاولة للاستيلاء على مرسية بالفشل[5]؛و تقول بعض الروايات أن ابن عمّار لم يجرؤ على مقابلة المعتمد بعد أن مُني بهذا الخذلان و أرسل إليه بقصيدة يعتذر له فيها مطلعها [1] :

أ أسْلكَ قَصْدَا أمْ أعوجُ عَنِ الرَّكبِ   فقدْ صَرتَ مِن أمْري عَلى مَركبِ صَعْب .

ويحاول تبرئة نفسه وإبعاد الوم عنها، مصرحًا أنّه بذل الجهد و أخلص العمل و لكن الرياح جرت بغير ما اشتهت أماني الملك، يقول [2] :

حَنانَيْكَ فِيمَنْ أنتَ شاهِدُ نصْحِه   وليسَ لهُ ، غَيرَ انتصَاحِك مِنْ حَسْب.

وَمَا جِئتُ شيْئـا فِيهِ بَغيٌ لِطالبِ   يضافُ بهِ رَأي إلى العَجْز وَ العَجْب .

سِوى أنّنِـي أسْلمتني لمُلمّـةِ   فللتَ بِهَا حَدِّي وَ كَسَّرْت مِنَ غرْبي.

أمَا إنَّـه لـوْلا عَوا رِفـكَ التِـي   جَرتْ جَرَيان المَاء فِي الغصُنِ الرَّطبِ .

. مع العلم أنَّ ابن عمّار فشل في حملته الأولى على مرسية .انظر : أبو الحسن على ابن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم 3 . المجلد 1 : ص 26 .

(4) –برشلونة : مدينة للروم ، و هي على البحر . و بها يسكن ملك الإفرنج، و هي في القسم الثالث من الأندلس . انظر : محمّد بن عبد المنعم الحميري . الروض المعطار في خبر الاقطار. تحقيق : احسان عباس . دار القلم للطباعة. بيروت . 1975. ص 86-87.

(5) – انظر : صلاح خالص . محمّد بن عمار الأندلسي – دراسة أدبية و تاريخية . ص 109 وما بعدها.

(1) – مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي .ص29 .

(2) - مصطفى الغديري . المصدر نفسه . ص 30-31 .

لَمَا سُمتُ نفَسي مَا أسومُ مِنَ الأذى ولا قلتُ إنّ الذّنْبَ فِيمَا جَرى ذنبي .

سأ سَتمْنِحُ الرُّحْمى لدَيْك ضرَاعَة و أسْأل سُقيًا مِنَ تَجَاوُزكَ العَذب.

وَ إنْ نَفَحتني مِنْ سَمَائك حَرْجَفٌ سَأهتِفُ : يا بَرد النَسِيم عَلى قلبِي!

و تلقى هذه الأبيات أصداء الرضا و الصفح و يجاوبه الملك الشّاعر بأبيات العفو جاء فيها :[3]

لَدَي لكَ العُتْبى تُزَاح عن العتْب و سعْيُك عِندي لا يضاف إلى ذّنْب .

واعْزز علينا أنْ تُصِيبَكَ وِحْشةٌ و أنْسك ما تَدْريه فِيك مِنَ الحبّ .

فَدَعْ عنْك سوءَ الظَنِّ بي و تَعدّه إلى غيره فهو المُمَكّن في القلب ! .

قَرِيضُك قد أَبْدَى تَوَحّشَ جَانِبٍ فراجعتُ تأنيسًا و علمُك بي حَسْبِ .

تكلفتـه أَبْغِي بـه لك سلوةً وكيف يُعَانِي الشّعر مشترك اللّب! .

فيصدح قلب المعتذر منه بالعتبى تمنع حمم الغضب،و يشفع للمعتذر إخلاصه و تنقشع غيوم الجفاء فاسحة المجال ل الديم الكرم و الندى، ليعود النديمان إلى سابق عهدهما.

و مع أن الروايات متضاربة في سبب و وقت اعتذار ابن عمّار بهذه الأبيات وجواب المعتمد عليها [1] ،إلاّ أنها تجمع على صفح المعتمد على ابن عمّار،و توثق رجوعه إلى إشبيلية في كنف ملكه .

---

[3] ــ محمّد رضا الحبيب السويسي. ديوان المعتمد بن عباد الاشبيلي . ص 125-126.

[1] ــ نقول الروايات التي ينقلها ابن الآبار عن ابن بسام ، و فيها اختلاف في بعض الأبيات أن ابن عمّار قال هذه الأبيات وجاوب المعتمد عليها بما أشعره بالصفح بعد خذلانه في مهاجمه مرسية و رهن الرشيد عند ريموند . أما ابن خاقان ، فيقول : أن هذه الأبيات وجواب المعتمد عليها قيلت بعد أن أستبد ابن عمّار بمرسية و أخرج عنها فطاف بين ملوك الأندلس وقد خاف أن يرجع إلى المعتمد ، و يمكن ترجيح القول الأول إذا أسلمنا بأن الرواة و المؤرخين قد اختلط عليهم الأمر لإرسال ابن عمّار قصائد و أشعار أخرى عندما أخرج من مرسية و خاف أن يرجع إلى المعتمد ، لاسيما و أن البيات التي أوردها هؤلاء الرواة مختلفة مختلطة الترتيب و يأتي ذكر اعتذار ابن عمّار بعد عصيانه في مرسية ، في مكانه . انظر : الفتح بن خاقان . قلائد العقيان في محاسن الأعيان . ص102 - 103 .

و استمر ابن عمّار طامحًا في أخذ مرسية، و زعم أن أهلها يلحون عليه في القدوم، و أشار على المعتمد بتجهيز جيش ثان ، فرضي المعتمد، و جهز جيشا و ضم إليه عسكرًا من قرطبة ، و تولى ابن عمّار أمر الجيوش، و كان معه في حملته تلك ابن رشيق ، صاحب حصن بلج [2] ؛ و قبل الوصول إلى مرسية استولت جيوش إشبيلية على مدن في كورّ ة تدمير، حتى إذا ما وصلت إلى مرسية حاصرتها ، وعاد ابن عمّار إلى إشبيلية تاركا أمر الحصار بقيادة ابن رشيق ، و ظل الحصار مضيقا على أهل مرسية و انقطعت عنهم المواد حتى اضطروا إلى التسليم ،و فتحوا أبواب المدينة لابن رشيق و جنوده ، و أخرج ابن طاهر أمير مرسية عن بلده ، و لجأ إلى بلنسية عند عبد العزيز [3] . سنة 471 هـ (1080م) [4].

و لما سمع ابن عمّار بسقوط مرسية أسرع إليها بعد استئذان المعتمد، و أخذ معه هدايا نفيسة ليستجلب بها أهل مرسية ، و دخلها في مهرجان فخم [1] .

ثمَّ إنه أخذ يعمل شيئًا فشيئًا على التفرد بحكم مرسية، و يصدر الأوامر بتوقيعه ،ويغفل توقيع المعتمد [2] ، و أصرف في مباهجه و سلطانه غافلا عمّا كانت تخبئ له الأقدار، و منشغلاً بنعيم المدينة ،متناسيا مكائد أعدائه و منهم أبو عبد الرحمان بن طاهر الذي لجأإلى ابن عبد العزيز أمير بلنسية و جمعتهما كراهية ابن عمّار ،و يتحينان الفرصة للإنتقام منه. و أشد ما كان ينّفر ابن عبد العزيز من ابن عمّار هو خوفه منه ذلك أن ابن عبد العزيز أخذ يستشفع عند المعتمد لابن طاهر الذي كان ابن عمّار قد اعتقله حتى أمر المعتمد بتخليه أمره و يظهر أن هذا أغاظ ابن عمّار ، وكان يطمع في بلنسية [3] ، أيضا فقال يخاطب أهل بلنسية و يغريهم بالثورة على ابن عبد العزيز [4] :

بشِّرْ بلنْسية وَ كَانتْ جَنة أنْ قدْ تَدَلّت فِي سواءِ النّارِ .

(2) – صلاح خالص .محمّد بن عمار الاندلسي – دراسة أدبية و تاريخية – ص 120 و مابعدها.
(3) – عبد العزيز : هو أحمد بن محمّد بن عبد العزيز ، كان وزيرا بيلنسيه للمظفر عبد الملك بن المنصور عبد العزيز بن الناصر العامري. انظر: أبو الحسن علي ابن بسام. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.القسم 3 . المجلد 1 :ص 40 .
(4) - أبي محمد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 92 .
(1) – صلاح خالص . محمّد بن عمّار الأندلسي – دراسة أدبية و تاريخية – ص 123 .
(2) – انظر : عمر فروخ . تاريخ الأدب العربي . ص 639 .
(3) – أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 92 .
(4) – مصطفى الغديري .شعر محمّد بن عمّار الأندلسي . ص72 .

غدَرَتْ وَفِيًّا بالعُهودِ ، وَقلّما عَثَرَ الوفيُ سعَى إلىَ الغدَّارِ .

يَا أهلهَا منْ غائبٍ أوْ حَاضِر و قطينهَا مِن رَاسِخ أو طَارِ.

جازوا بَني عَبْد العَزيز فَإنّهُمْ جَرُّوا إلَيْكمُ أسْوأ الأقدارِ .

و هـي قصيدة طويلة يذم ابن عمّار فيها ابن عبد العزيز و يَحَضُ أهل بلنسية علــى الثورة و يغريهم في آخر القصيدة بهدم قصورهم و سلب أموالهم و كنوزهم .

واتصلت أخبار هذه القصيدة بالمعتمد فغضب على ابن عمّار و كان قد بلغه إعجـاب ابن عمّار بنفسه، و محاولته الإستبداد بملك مرسية، فقال فيـه أبياتا يعرض فيها بـه، و يقارن بين حاله في أيام بؤسه و حالـه بعد أن صـار في تلك المنزلـة ؛ و ذلك أن ذيل قصيدة ابن عمّار في بني عبد العزيز و مدحهم قال عنهم [5] :

الأَكْـثَـرينَ مُسـوّدًا و مُمَلـكًا و مُتوّجَا في سالف الأعْصار .

إنْ كُوثرُوا كانُوا الحَصَى أَوْ فَاخَرُوا فَمن الأكَاسر منْ بني الأَحرارِ!.

يُضحـي مُؤَملهم يُـؤَمّل كسْبِـه و يَبِيتُ جَارُهـم عزيزَ الجارِ .

تَبكِي عليهـم شَنَّبوس بعَبْـرةٍ كأتيها المتـدافع التيَّـــار.

و يقـول فيـها [1] :

يَا شَمْسَ ذَاك القَصْر كَيفَ تَخلَّصَتْ فِيـه إلَيْكِ طَوارِقُ الأقْدَارِ.

يريد بشمس – كمـا ذكرنـا سابـقا – أم ابـن عمّـار ، فإهتـاج ابن عـمّار لهذا و قـال يهجـو المعتمد و اعتماد زوجته بأبيات قال منها [2] :

ألاَ حَـيِّ بالغَرْبِ حَيًا حِلالاَ أنَاخُوا جِمـالاً وَحَازوا جَمـالاَ.

وَ عَـرِّج بَيومينَ أمِّ القُـرى و نَمْ فَعَسَى أنْ ترَاهَا خَيَالا [3].

[5] ـ محمّد رضا الحبيب السويسي. ديوان المعتمد بن عباد الأشبيلي . ص141-142.
[1] – محمّد رضا الحبيب السويسي.ديوان المعتمد بن عباد الاشبيلي . .ص141-142.
[2] – مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الاندلسي . ص 88-89 .

لتَسْأل عَنْ سَاكنيها الرَّمادَ و لَمْ تَرَ للنَّارِ فِيهَا اشتعَالاَ.

أيَا فارسَ الخَيل يَا زَيْدهَا حَميتَ الحِمى و أبَحْتَ العِيالا.

أرَاكَ تُوَري بحُبِّ النَّسَاءِ وَ قِدمًا عَهِدْتكَ تهَوَى الرِّجَالا.

تَخيَّرتهَا مِنْ بَناتِ الهِجَانِ " رُمَيْكيَّة " ما تُسَاوي عِقَالاً .[4]

فَجَاءَتْ بِكُل قصير الدّراعِ لئيْم النَجارَيْن عَمًّا وخَالاً [5].

و في القصيدة يعرض ابن عمّار بالمعتمد وعلاقته به، و يسئ إلى خُلقِ المعتمد و ينسب إليه الفحش . و قد استطاع ابن عبد العزيز أمير بلنسية بواسطة أحد جواسيسه أن يحصل على هذا الهجاء بخط ابن عمّار، و يرسله إلى المعتمد الذي ثارت ثورته على ابن عمّار، و أضمر له الانتقام [1].

و كان هناك عدو آخر يعمل على إنهاء أمر ابن عمّار ، ذلك هو ابن رشيق الذي ساعده في فتح مرسية ، فقد كان طيلة الوقت يعمل على تحين الفرص لإضعاف أمر ابن عمّار ؛ فبينما كان ابن عمّار لاهيا في عز سلطانه أخذ ابن رشيق يستبدل عمال ابن عمّار بثقاته و أقاربه حتى صارت معظم الحصون بأيدي رجال ابن رشيق و أعوانه . عندئذ ثار عليه ابن رشيق و أخرجه عن مرسية [2].

و هكذا قبل أن يقوم المعتمد بأي خطوة للأخذ بثأره من ابن عمّار ، كان هذا الأخير قد أخرج عن مرسية . ولمعرفة غضب المعتمد عليه لم يحاول أن يذهب إليه، و التجأ إلى

---

(3) ــ بيومين : اسمُ قرية بقطر اشبيلية كانت أوليّة بني عبّاد منها . و يذكره بيومين ــ هنا ــ للدلالة على أن أجداده " بني عباد " ليسوا من أشبيلية ، و إنما من الطارئين عليها فقط. انظر : أبو الحسن علي ابن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم 2 . المجلد 1 : ص 415.

(4) ــ العقال : الحبل الذي تعقل به الدواب ، و هي كناية لرخس الثمن. انظر : ابن منظور . لسان العرب. (مادة : عقل) .

(5) ــ النجارين : يعني الأصل و الحسب .

(1) ــ علي بن موسى بن سعيد الأندلسي . المغرب في حلى المغرب . ج1 : ص 390 .

(2) ــانظر تفصيل ذلك في : صلاح خالص . محمد بن عمّار الأندلسي ــ دراسة أدبية و تاريخية ــ ص 142 و ما بعدها .

جليقية [3] راجيا أن يساعده الأذفونش على ابن رشيق ، غير أن ابن رشيق كان قد قدم الحزم فاستمال الأدفونش بلطافه و هداياه . و غيّره على ابن عمّار فانصرف خائبا .
و بذلك لم يتحقق أمل ابن عمّار عند الأذفونش، و إلتحق بالمؤتمن ابن هود [4] صاحب سرقسطة، على أنه لم يَسْتطِبْ المقام هناك، فرحل إلى صاحب لاردة المظفر بن هود [5]، و لكنه كان على ما يظهر حائرًا في أمره لا يدري ما يفعل فعاد إلى سرقسطة . و أخذ ابن عمّار يغريه بالإستيلاء على حصن شقورة [1] و يضمن له أخذه ؛ فأرسله المؤتمن على رأس كتيبة ليحتل له الحصن . و لكن نهاية ابن عمّار كانت في تلك الحملة إذ أن ابن مبارك صاحب الحصن ، رحب به أولا ليخدعه ، ثم ما لبث أن قبض عليه وأبقاه عنده أسيرًا [2].

و قيل أن ابن عمّار لما طالت مدة أسره طلب من ابن مبارك أن يعرضه على ملوك الأندلس ، فمن كان منهم أشد رغبة فيه جعل له مالاً و وجهه إليه ، ففعل ابن مبارك ذلك ، و بعث المعتمد ابنه الراضي و بعضًا من رجاله ليأخذه [3] .و في ذلك يقول ابن عمّار [4] :

أَصْبَحْتُ فِي السُّوقِ يُنَادى عَلى ... رَأْسِي بِأَنْوَاعٍ مِنَ المَالِ .

فَهَلْ فَتَى يَبْتَاعُني مَاجِدٌ ... أَخْدُمُهُ مُدَّةَ إِمْهَالي .

تا اللهِ لا جَارٍ عَلى نَقْدِهِ ... مِنْ ضَمَّني بِالثَّمن الغالي .

---

(3) – جليقية : تقع في أقصى غرب اسبانيا و توجد بها مدينة " شنت ياقب " الدينية كعبة اسبانيا النصرانية ومزارها المقدس و رمز زعامتها الروحية و بها قبر القديس يعقوب بزعمهم و يقام له سنويا احتفالا ضخما مثل الموالد المعروفة يفد إليه النصاري من كل حدب و صوب من داخل اسبانيا . و هي من أجل المناطق الطبيعية في اسبانيا حيث تكثر فيها البحيرات و الأنهار و الشلالات وما تطيب له النفس و العين . انظر : محمّد بن عبد المنعم الحميري. صفة جزيرة الاندلس (منتخبة من الروض المعطار). تحقيق : ليفي بروفنسال. لجنة التأليف و الترجمة و النشر . القاهرة . 1937.ص 161.

(4) – المؤتمن بن هود : هو يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطة من سنة 474 هـ إلى سنة 478 هـ، كانت له علاقة جيدة بابن عمّار ، ثم حدث شقاق بينهما . انظر : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي بن الآبّار . الحلّة السّيراء . ج2 : ص 146 .147 .

(5) – انظر : ابو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاغي بن الأبار .الحلة السيراء. ج 2: ص 146.

(1) – شقورة : حصن منيع ، شمالي مرسية ، و هو رأس جبل عظيم ، يخرج من أسفله نهران ، أحدهما يمرّ بقرطبة ، و ثانيهما يمرّ ببلنسية . انظر : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي بن الآبّار. الحلّة السّيراء .ج2 :ص122.

(2) – انظر : لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . ص160. و أبي محمد عبد الواحد المراكشي .المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص 93 .

(3) – و في روايات أخرى نجد : أن المعتمد هو الذي ظل يتحيل على صاحب شقورة في أخذ ابن عمّار ويعطيه ما شاء عنه حتى أخذه . أنظر : الفتح ابن خاقان . قلائد العقيان في محاسن الأعيان . ص110 . ولسان الدين ابن الخطيب . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . ص 160-161 .

(4) – مصطفى الغديري .شعر محمّد بن عمّار الاندلسي .ص 92.

أرْبِحْ بِهَا مَوْلايَ مِنْ صَفْقَةٍ   فِي سِلْعَةٍ مِنْ برِّك العَالي .

و هكذا عاد ابن عمّار إلى المعتمد أسيرًا ، و لم يعد إلى حياته صديقا حميما كما كان . وأُدْخل إلى قرطبة مقيدا و في أسوأ حال و الناس قد تجمعوا خصيصا ليروا ذله و إهانته [5] .

و قيل أن المعتمد لما رآه ، « جعل يعدِّد عليه أياديه و نعمه و ابن عمّار في ذلك كله مطرق لا ينبس ، إلى أن انقضى كلام المعتمد فكان من جواب ابن عمّار أن قال : ما أنكر شيئا مما ذكره مولانا أبقاه الله ، ولا أنكرته لشهدت علي به الجمادات فضلا عمن ينطق ، ولكني عثرت فاقل ، وزللت فاصفح » [1].

و لكن المعتمد لم يصفح عنه و أمر بأخذه إلى اشبيلية ، فأدخل إليها على الحال التي دخل فيها قرطبة ، و جُعل في غرفة على باب القصر مسجونًا . و أقام ابن عمّار في سجنه مدة يبعث إلى المعتمد باعتذاره و توسله ، و قد نظم في سجنه قصائد ، كان يرسلها إلى المعتمد كي يرق له و يعفو عنه ، من تلك قصيدته التي قال فيها [2] :

سجاياكَ ، إنْ عَافيتَ ، أنْدَى و أسْمَحُ   و عُذرك ، إنْ عَاقبتَ ، أجْلى و أوضَحُ .

وَ إنْ كَانَ بينَ الخُطَّتيْنِ مَزيَّةٌ   فأنتَ إلى الأدْنىَ مِنَ اللهِ أجْنحُ .

و في هذه القصيدة يعرض بأعدائه الذين وشوا عليه و يقول [3] :

حنَانيْك فِي أخْذي برأيكَ لا تُطِعْ   عِداي وَ لَوْ أثْنَوْا عَليَّ و أفصَحُوا .

إلى أن يقول مقرًا بذنبه و طالبًا صفحه [4] :

---

[5] ــ أبي محمد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص94.
[1] ــ أبي محمد عبد الواحد المراكشي .المعجب في تلخيص أخبار المغرب.ص94.
[2] - مصطفى الغديري .شعر محمّد بن عمّار الاندلسي .ص 37 .
[3] - مصطفى الغديري . المصدر نفسه . ص 38 .
[4] - مصطفى الغديري . المصدر نفسه . ص.ن .

ومَاذَا عَسَى الواشونَ أنْ يتَزَيَّدُوا سِوى أنَّ ذنْبي وَاضِحٌ مُتَصحِحُ .

نَعمْ لي ذَنْبٌ غَير أنَّ لحِلمِهِ صَفاة يِزلُّ الذّنبُ عَنهَا فيَسْفحُ .

و يقول مؤكدا حبه للمعتمد (5) :

وَ يَهنِيهِ ، إنْ مِتُّ ، السُلوُ فِإنّنَي أموتُ ولِي شَوْقٌ إليْهِ مُبَرِّحٌ.

و تدرك المعتمد الشفقة على ابن عمّار لكثرة ما توسل إليه و خاصة بعد قصيدته هذه ، فاستحضره ذات ليلة ، فجعل ابن عمّار يبكي و يستعطف المعتمد، فقال له المعتمد قولاً يتضمن العفو تعريضا لا تصريحا و أمر برده إلى محبسه، فكتب ابن عمّار في تلك الليلة إلى الراضي ابن المعتمد يخبره أن المعتمد قد عفا عنه، و وصل الكتاب إلى الراضي و في حضرته بعض ممن كانوا يضمرون العداء لابن عمّار، فأخبرهم الراضي بما وصله ، فأظهروا الفرح و هم يبطنون غيره ، و لمَّا ذهبوا نشروا حديث ابن عمّار أسوأ وزادوا فيه زيادات قبيحة تسيء إلى المعتمد (1) .

و بلغ المعتمد ذلك فأرسل إلى ابن عمّار و قد جن جنونه حنقا عليه و سأله عن ذلك ، فأنكر ابن عمّار أولاً و لما ألح عليه المعتمد في السؤال سكت . ثم إن المعتمد خرج من عنده حانقا « وعاد إليه و بيده طبرزين فلما رآه ابن عمّار علم أنه قاتله ، فجعل يزحف و قيوده تثقله حتى انكب على قدمي المعتمد يقبلهما و المعتمد لا يثنيه شيء ، فعلاه بالطبرزين الذين في يده ، و لم يزل يضربه به حتى برد » (2).

و يورد صاحب المعجب في سبب موت ابن عمّار حكاية أخرى ،تفاصيلها هي :« إنه لما شاع خبر عفوه ذكرته الرميكية بهجوه، فثار عند ذلك و ضربه بالطبرزين حتى شق رأسه و رجع إلى الرميكية وقال قد تركته كالهدهد » (3) .و ينسب صاحب المغرب القول

(5)- مصطفى الغديري . المصدر نفسه. ص40.

(1) – أبي محمد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص96.

(2) – أبي محمد عبد الواحد المراكشي. المصدر نفسه . ص 97 . و الطبرزين : سلاح قديم يشبه الفأس .

(3) – ابن سعيد الأندلسي . المغرب في حلى المغرب . ج1:ص 391 .

إلى الرميكية و التي قالت شامتة لما رأت ابن عمّار و الطبرزين في رأسه قد بقي ابن عمّار هدهدًا [4].

و الأرجح أن يكون سبب ثورة المعتمد السريعة على ابن عمّار ما رواه المراكشي من أن ابن عمّار أشاع خبر عفوه وزاد فيه أعداؤه أشياء تمس بسمعة المعتمد فجن جنونه و ضربه تلك الضربة التي قضت عليه . و قد أخذ ابن الخطيب بهذه الرواية فقال في خبر قتل المعتمد لابن عمّار : « كان ابن عمار يتلقاه بالإستعطاف و الاسترحام بما كاد يحل عقده موجدته و يطمع في الإبقاء عليه ، لولا أن أعداء شمروا للإغراء به ونسبوا إليه أقوالاً في إساءة ذكره و النيل من أم ولده فقتله » [1] . و كان قتله سنة 477 هـ (1085 م) [2] ؛ و يرى ابن الخطيب« أن المعتمد ندم على قتله و لكن بعد أن فات الأوان» [3] .

على هذه الصورة انتهت تلك الصداقة بين الملك و الوزير ، التي كانت فيما سبق حديث الناس وغرض الأعداء و الحساد ، و بهذه الفاجعة الأليمة انتهت حياة ابن عمّار، تخلد مأساة من مآسي التاريخ ، ذهب بطلها ضحية طموحه ، الذي رفعه و جعله يرفل في النّعيم والعز ليدحرجه إلى جحيم الإنكسار و يصنع له النّهاية الأليمة.

1-3- أبرز العناصر في شخصيته :

تُظهر الأشعار و الأخبار المرتبطة بابن عمّار شخصية طموحه، يغلب عليها ، حركة اندفاع قوية للبحث عن الذات و تحقيق ما تؤمن به ؛ و لذا فإن المحور الداخلي الذي دارت حوله الأشعار هو ذات الشّاعر الباحثة ناتجة عمَّا يعوِّض الإخفاق اللذين مُنيت بهما ذاته ، و ولّدا عند صاحبها خوفًا و عكفًا مستمرّين على المصير نابعين- حسب ما يرد في شعره- من عدم قدرته على التكيّف مع عصره و مع الشروط الحياتية التي يعيشها مجتمعه ؛و بالتحديد تلك التي جعلت للمال سلطانا و سحرًا . فبينما استطاع الآخرون إشباع رغباتهم و مطالبهم من الحياة، و إرضاء أذواقهم، و التنعّم بحياة هادئة فيها الشهرة و المجد

---

(4) –أحمد بن محمّد المقري التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب .ج2 : ص 569 .

(1) – لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .ص161.

(2) – انظر : أبو العباس شمس الدين أحمد أبي بكر بن خلكان .وفيات الأعيان و أبناء الزمان .ج2 : ص7 .

(3) - لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .ص 162.

و المال ، نجد شاعرنا على العكس من ذلك يعيش في صراع دائم مع واقعه المعيش وأناس مجتمعه و قيمهم[4] .

و على الرغم من المساعي الدؤوبة التي كان يبذلها في معترك الحياة ، فإن ابن عمّار ظلّ يُلملم أذيال الخيبة و يتجلبب بجلباب الإخفاق المتواصل ؛و تتجسّد صرخته ترفض ما يسود عصره، وتديم مواجهتها له بصورة جلية في الشكوى العارمة التي يطلقها ضد طغيان سلطان المال وانسياق الناس في ركابه ، و في مشاعر السخط على زمانه التي يبدو فيها مذهولا كيف أخذته السنون الطويلة التي قضاها في العناء والسعي، وأخفق في الحصول على قدر من الثروة يستغني به، ويبسط باعه في المكارم ، فهو يقول[1]:

هُوَ العَيشُ لا ما أشْتكيهِ مِنَ السُّرَى إِلَى كُلَ ثغْرِ آهِلٍ مِثْلِ طاسِمِ .

و في حركة تعويضية يسعى الشّاعر إلى تحقيق كنه ذاته عبر مغامرة يسلك خلالها دوريًا تتعدد بتعدد تجاربه الشخصية و الأجواء التي تجري بها . فمن ساعٍ إلى التكسب في أحضان اشبيلية ، حيث يواجه عالمًا مليئًا بالتحدّيات و طبيعة قاسية توافر له – أو تكاد – الحد الأدنى للعيش إلى مُنتمٍ إلى البلاط العبادي محتميا به في مواجهة مجتمع الحياة فيه للأقوى و الموت متربص في كل حين ، و يتجاوزه إلى راض بالحياة اللاهية الفاسدة الذليلة الخانعة للظلم و سلطان المال ، و مطالب بالجاه و النفوذ خلاصا للذات و فوزا لقيمها و مكوناتها .

وتحقق جملة من العناصر لابن عمّار نزعاته و تجاربه تعويضًا نفسيًا ينشده ،و يوفر له بعض أسباب الطمأنينة و الإرتياح، لعل أبرزها:

1-3-1- تعظيم الـذات :

يفرط الشّاعر في تمجيد ذاته بعد أن وجد أن تحقيق الذات وحده لا شيء غيره يؤكد له وجوده و يكشف عن دلالته و يشرف به على القوة الداخلية التي يتألف منها هذا الوجود و أفعاله و حركته . و من مظاهر تعظيم هذه الذات :

(4) – انظر : هذا البحث .ص29.
(1) - مصطفى الغديري . شعر محمد بن عمّار الأندلسي .ص101 .

وعيه لفرادة ذاته و تميّزها و إظـهارها بمظهر التميّز المبـالغ فيـه ، حتـى غـدا لشدة تيهه بنفسـه كالشمس و القمر اللذين لا يعجز أحد عن معرفتهما إذا يقول [2] :

أَنَا ابْنُ عمّار لاَ أَخْفَي عَلَى بَشرٍ إلاَّ عَلَى جاهِلٍ بالشَّمْسِ و القَمَرِ .

و تساميه في غاياتـه و أهدافـه ، فلا يرضـى إلا بمـا هـو جدير بالرضـى ،و يـرى أن العلم هـو أثمن ما يكسبه إنسان ، يقــول [3] :

وَ بينَ طَبْعِي وَذِهْنِي كُل سَابقةٍ كَالسَّهمِ يَبْعدٌ بينَ القَوسِ وَ الوَتَرِ

.

إنْ كَانَ أخَّرنِي دَهْرِي فلاَ عَجَبٌ فَوائِدُ الكُتُبِ يُسْتلحقنَ فِي الطُرَرِ .

ويعضد هذا الافتقار الذاتي،و مغالبة الدنيا و تحديها:

1-3-2- إرادة السّعـي :

و هي من أهم المقومـات التـي ارتكزت عليهـا شخصية ابن عمّار،إذ اقترنـت حياتـه بالحركـة والسـعي ؛ و هـذه حقيقـة يلمسـها الباحث فـي شعره المصـور لمراحل حياتـه ،ففـي تتبـعها يظهر أنه كان دائب الانتقال من مكان إلى آخر إذ يشير إلى ذلك بقوله [1] :

أجُرُّ ذيولَ اللّيلِ سَابِغَة الدُّجَى و أرْكبُ ظَهْرَ العَزمِ صَعْب الشَّكائِمِ .

هـولا يكـل، و لا يمـل ،يحـدوه أمـل تحقيـق المـراد، و يدفعـه العـزم إلـى مجابهـة العظـائم و استصـغارها، فـلا العقبـات تعيقـه ،ولا المهامـة تحـد مـن حركتـه تقـوي شـكيمته كلّمـا عظـم المصـاب، وحلّ الخطب ،يرسم الهدف و لايثنيه عنه إلاّ الموت يقـول [2]:

عَليَّ لِنَفْسِي مِنْ مُناهَا أليَّة تَهزُّ رِحَالَ اليَعْمَلاتِ الرَّواسِم [3].

---

[2] - مصطفى الغديري . المصدر نفسه .ص 80 .
[3] - مصطفى الغديري. المصدر نفسه . ص80.
[1] - مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي .ص102
[2] – مصطفى الغديري .المصدر نفسه . ص102.
[3] – اليعملات : مفردها اليعملة ، و هي الإبل النجية المطبوعة على العمل و الصبر .

و لعل إرادة السعي هذه تتولّد عند الشاعر من حاجة و حرمان ، و كأن الشّاعر قد امتلأ بنداء السعي و أصبح عبدا لدوافع رغبة الاندفاع و السفر و الآمال المتصلة بهما ، فلا يجد مندوحة عن السعي الذي يعلّق عليه آماله في طلب الرزق و تحقيق راحة طويلة الأمد . و هو يعبر عن ذلك بقوله [4]:

لا بُدَّ مِنْ ذاكَ السِّفارِ وَ إنْ عَدتْ عنهُ اللَّيَالِي إنَّهُنَّ عَوادِي .

سَفرٌ إنْ اسْتَبْعَدْتُهُ فسَتأمْتَطِي حِرْصِي ، وَ أجْعَل مِنْ ثَنائِكَ زَادي .

يجعل الأماني المستحيلة واجبة التحقق، يحفزه قلبه الشّعر الطموح وسيلته إلى

غايته ليعلن:إنّ:

1-3-3- وحدة الغاية بين الذات و الشّعر :

و يجعل هذا النسيج الموحد نهجه في الحياة و يعبر عن شخصيته التي اتخذت الشّعر وسيلة للتعبير عن معاناتها ، و هي تعلم أن الذات و الشّعر صنوان كلاهما مّتمم للآخر ، وأنّهما يؤديان وظيفة واحدة هي الاعتزاز، و يلخّص ذلك في قوله [1]:

و َدونكَهما مِنْ نَسِجِ فَكرِي حُلَّةِ مُطرَّزَة العِطْفَيْن بالشُّكرِ و الحَمْدِ.

أَلَدَّ مِنَ المَاء القراحِ عَلَى الصَّدي و أَطْيَبَ مِنَ وَصَلَ الهَوى عِقبَ الصَّدِّ.

وَ مَا هذهِ الأشّعَارُ إلاَّ مَجَامِرٌ تضَوَّع ُفيهَا للنَّدى قِطَعُ النَّدَّ.

و تكون دعوته للسّعي و الكد لأجل كسب العيش ؛ جاعلةً نظرته للشّعر مُتأتية من أن الشّعر عند بعض الشّعراء وسيلة للتكسب تنتفي معها النظرة التقليدية لوظيفة الشّعر و الشّاعر التي جعلت الشّاعر لسان القبيلة يعدد أمجادها و يشيد بقوتها و يشدُّ من أزرها و يهجو خصومها ؛ فالقبيلة في وضع الغزو الدائم كانت بحاجة لأن تُرهب و تُخاف ، و

(4) - مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي .ص50.
(1) - مصطفى الغديري .شعر محمّد بن عمّار الأندلسي . ص 54.

بحاجة لأن تعلم القبائل الأخرى مدى قوتها . بل إنها بحاجة لأن يعلم أبناؤها هذا و يتيقّنُوا منه . أو ليست حياتها حربا دائمة؟! لذا كان الشّاعر من الرِّجال المعززين. يُحاط بينهم بهالة من التبجيل و الاحترام .

و يعدُّ نبوغ الشّاعر في ربوع القبيلة حدثا مُهمًا تحتفل له و تحتفي به، يصف ابن رشيق ذلك بقوله :«كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شّاعر أتت القبائل فهنأتها ، و صنعت الأطعمة ، و اجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ، و يتباشر الرِّجال و الولدان ، لأنه حماية لأعراضهم و دب عن أحسابهم و تخليد لمآثرهم و إنشاده بذكرهم ، و كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شّاعر ينبغ أو فرس تنتج » .[1] ولم يخرج الأندلسيون عن هذه السنة.إذ لم يكن شعراؤهم مفخرة قبائلهم فحسب ، بل كانوا يقومون بأدوار أساسية أيضا تجلي مكانتهم و تبرز أهميتهم. و تشعرهم بالعظمة و التميّز.

1-3-4- الميل نحو المبالغة :

يصنع ابن عمّار الشّعر للتعبير عن معاناته ، و يجنح في تصويره للمرئيات أو الحالات النفسية التي تعتريه إلى مبالغة محببة . فهو يُغالي في إظهار رهافة إحساسه و شفافية مشاعره لدى تصويره منظر المعركة التي قادها المعتضد [2]:

فإنْ يُجْنِكَ الفَتْحَ ذاكَ الأصِيلُ فمِنْ غرْسَ تَدْبِيَرِ ذاكَ السَّحَرْ .

تُعَاطِي الخَوارِجَ حتَى بَرزتَ تَقوِّمُ مِنْ خدَّهَا مَا صعرْ .

و اقبلتهَا الخيْلُ حُمْرَ البُنو دِ دهُمَ الفَوارس بيضَ الغُرُرْ.

فَكَرّوا فلمْ يُغنْهُمْ مِنْ مَكرٍّ وَفرُّوا فلمْ يُنْجِهِمْ مِنَ مَفرّ.

و دَارَتْ دِماؤُهُمْ كَالكُؤُوسِ وفَاحَتْ نُفُوسُهُمْ كَالزَّهِر.

فَعَاقرَ سَيْفُكَ حتَّى انْحَنَى و عَرْبَدَ رُمْحُكَ حتَّى انْكَسَرْ.

و إذا تحدّث عن حبّه أفرط في إظهار إخلاصه و تفانيه في تقديس علاقته بحبيبته ، حتى لو أدّى هذا الإخلاص إلى العذاب من أجل الحفاظ على الوصال ، كما في قوله [3] :

---

(1) ــ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده . ج1 :ص 65 .

(2) - مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي .ص82-83.

نَ َفْسِي ، وَ إنْ عَذَّبْتِهَا ، تهْواكِ   و يَهُزُّهَا طَرَبٌ إلىَ لُقياَكِ .

عَجَبًا لِهَذاَ الوَصْلِ أصْبَحَ بَيْنَنَا   مُتَعَذِّرًا وَ مُنَايَ فِيه مُنَاكِ .

مَا بَالُ قَلبْي حِينَ رَامَكِ لَمْ يَنَلْ   و لقــدْ تَرُومُـكِ مُقْلـتِي

فَتَرَاكِ.

و إذا صـوّر مشهدًا بالغ في تتبع الجزئيات و الإحـاطة بكل تفاصيل الموضوع كما في وصفه لجدول يصب في غدير [1]:

و مُطّرِدِ الأجْزَاء يصْقلُ متنـهُ   صبًا أعْلنتِ سِرَّ النَّدى فِي ضَميرهُ.

كَأنَّ حُبَابًا رِيعَ تحتَ حُبَابهِ   فسَارعَ يَرْمي نفسَهُ فِي غدِيـرهِ

جَرِيحٌ بأطرَافِ الحَصَى كُلّمَا جَرى   عَليهَا شَكَا أوجَاعَهُ بخـريرِهِ .

شَرِبْنَا عَلى حَافاتِهِ دَورَ سَكْرةٍ   و َأكثرُ سُكرًا منْهُ عيَنَاَ مٌديـرِهِ.

و قدْ لاَح َنجْمُ الصُّبحِ بَادِ كَأنَّهُ   مُطرقُ جَيش مُـؤذنٌ بأمـيرهِ.

و إذا كان من كلمة أخيرة حـول شخصية ابن عمّار ، فإنـه يمكن القول من خـلال ما تقدم: إنها تتميز بمعايير تقليدية متأثرة بحياة الطبيعية الإشبيلية ، فقد ظلّت تتجسّد فيـها معالم الحياة الأندلسية و مفاهيمها ، من حيث تمجيد قوة القوم و سلطانهم وقدرتهم علـى البطش بالأعداء ، إلى ما هنـالك من صفـات تتصـل بـالمجتمع الأندلسـي. و كل ذلك يؤكـد أن ذات ابـن عمّـار مـا زالـت تتمسـك بخصـائص موروثـة عـن النمـاذج الشـكلية للسـلوك الإنسـاني الإشبيلي في الحياة الواقعيـة الأندلسية ، و هــي نمـاذج شـاملة وفطريـة لـدى الأندلسين عامـة ولا تقتصر على الشّاعر ، و يطلق عليها عالـم النّفس يونـغ " الأنمـاط الأوليّـة " التـي تبـرز كرواسب نفسية أكثر لدى الفرد الواحد[2] . و هذا مـا جعـل شخصية ابن عمّـار تخـرج من إطار الفـرد العادي ، و تتجسّد فيها صورة لشخصية الإشبيلي في الأندلس بمختلف معاييرها الأخلاقية و الإنسانية و الاجتماعية .

---

[3] - مصطفى الغديري .المصدر نفسه . ص84.
[1] - مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي . ص81-82.
[2] – انظر :فاليري ليبين . مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة . دار الفارابي .بيروت .1981 .ص 98.

1-4- ثقافتـــه :

لقد كان ابن عمّار رجلا من العامة ، بل من أبسط العامة ، أمضى حياته في فقر مدقع و معيشة ضنكه ،و مع ذلك كان رجلا فريدا و ظاهرة لم تتكرر ، بقدراته الفكرية و موسوعيته اللتين أعجزتا الكثيرين عن اللحاق به . فعلى الرغم من وضعه المادي المتردي ، إلا أنه لم يقعد عن طلب العلم و الإستزادة منه .

و يمكن القول – من إطلاعنا على حياته – :إن ابن عمّار إن لم يكن قد نشأ في إشبيلية ، فإنه ابنها علميّا و ثقافيّا ، فالمُطّلع على شعره يلمح فيه العلوم التي تميّزت بها هذه الحاضرة من عناية بجمع الأشّعار و الأخبار و روايتها . إذ يظهر أن ابن عمّار كان قد اتصل بثقافة اشبيلية و علومها و آدابها ، حتى وجدنا أنفسنا أمام شاعر عالم باللغة و دقائقها و معانيها و غريبها ، وراوية متصل أتصالاً واسعاً و عميقا بأخبار الأندلس و أيامها و أشّعارها [1] ، ممّا جعله يستبيح لنفسه أن يجلس في مجلس المعتضد ، وأن ينافس الشّعراء، و يفحمهم ،و يظهر قصورهم ،و يتفوق عليهم ؛وسعة معرفته بالنحو و اللغة و الشّعر أهّلته بأن يُحظى بإعجاب النّاس فيجذب عقولهم ،و يسلب أسماعهم [2] .

و تلك الثقافة التي تحلى بها ابن عمّار كانت تنمُّ عن ذكاء وقّاد لأنه أحسن الاختيار . فعصره كان عصرا تسوده الدويلات المتنافسة [3] ، و كانت نفوس الأمراء تتوق إلى مظاهر الأبّهة و العظمة ، « و كيف لا يرغب في شعره ، و يتنافس فيما ينفث به من سحره و هو يضرب في أنواع الابداع بأعلى السهام ، و يأخذ من التوليد والاختراع بأوفر الأقسام » [4].

لذلك كان لابن عمّار مكانتُه بين الشّعراء و حُظوته عن الأقدمين . فيصفه ابن بسام: « أنه كان شاعرًا لا يجاري ، و ساحرًا لا يباري » [5].

1-5- علاقتـه بمعاصريـه :

---

(1) صلاح خالص . محمد بن عمّار الأندلسي – دراسة أدبية و تاريخية .ص22-23ا

(2) – انظر : هذا البحث .ص29.

(3) - انظر : هذا البحث .ص30.

(4) – أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. القسم 2 . المجلد 1 : ص 369.

(5) - أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني. المصدر نفسه . القسم 2 . المجلد 1 : ص 369.

عاصر ابن عمّار عدداً كبيرًا من العلماء و الشّعراء و الولاة ، و تباينت طبيعة العلاقات التي ربطته بهؤلاء ، و ذلك تبعا لاختلاف المناسبات و الظروف التي حصلت فيها ، و تعددت بحسب ميول هذه الشخصيات و موقعها ، فكان منها : العلاقات الّسياسيّة، و علاقات الصداقة .

1-5-1- العلاقات الّسياسيّة :

يقصد بهذه العلاقات الأخبار التي تناقلتها الروايات حول ارتياده بعض مجالس الولاة و الأمراء أو مدحه لهم ، و بخاصة المعتضد بن عباد وابنه المعتمد ، ولا ندري لماذا خصّ ابن عمّار هذين الرجلين بشّعره ؛ و يمكننا أن نعلّل ذلك بأن هذين الحاكمين الّلذين اتصل بهما ابن عمّار كانا من أصل يمني [1] و مدحهما يسلك في نطاق الصراعات التي اشتد أوارها في تلك الفترة ، و لم تستلم منها إشبيلية مستقر ابن عمّار وقتذاك ؛ و نرى الشاعر يوازن بين ما يقدّمه لهما من مدح وما يهبانه من عطايا ،فهو على الرغم من طلبه المال في شعره و تحمسه لهذين الواليين ، فإنه يُعلي من منزلة أشّعاره ، و يعدّ ما يجري بينهما هومن باب المقايضة : شعره المدحي مقابل الهبات والعطايا و هذا ما يبدو من خلال قوله للمعتمد [2]:

أَفِـي كُلِّ يـَوْمٍ تُـحْفـَـةٌ و َتَفَقُدُ　　　بِفَضْلِ نَوالٍ وَ اهْتِبالُ يُؤَكّدُ.

لَقَدْ فَازَ قِدْحِي فِي هَوَاكَ وَ قَابَلَتْ　　　مَطَالِعَ حَالِي فِي سَمَائِكَ أَسْعَدُ

كما أن ابن عمّار في مدحه لهذين الواليين ظلّ في إطار التعميم و إغداق الأوصاف و الفضائل التي ترسم المثل الأعلى للشخصية في ذلك العصر ، و أهم ما وصفهما به هو :

1- رفعة النسب و الأصل المحتد ، كما في قوله للمعتد [3] :

---

(1) – مملكة بني عباد اللخميين باشبيلية : مؤسسها أبو الوليد إسماعيل بن محمّد بن عباد من ذرية عطاف بن نعيم القادم على الأندلس ، و هم من قبيلة لخم اليمنية .و هي أكبر دول الطوائف و أشهرها من حيث سعتها وتفوقها السياسي و كان لها شأن وافر أيضا في النشاط العلمي. و قد حكم بنو عباد هذه المملكة و حاولوا إلحاق مناطق أو ممالك أخرى إلى مملكتهم . انظر : لسان الدين بن الخطيب . أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . ص 152 . و عبد الرحمن علي الحجي. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة . دار القلم . دمشق . بيروت . 1976 . ص 387. و ابن الكردبوس . تاريخ الاندلس .تحقيق : أحمد مختار العبادي . معهد الدراسات الاسلامية.(د.ط). مدريد . 1971. ص 78.

(2) - مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي .ص43.

(3) - مصطفى الغديري . المصدر نفسه . ص103

سَمَا بِأَبِيهِ ذِرْوَةَ الشَّرْفِ الذِي أَبَا طِحُهُ سَهْلُ النَّدَى وَ المَكَارِمِ .

بِمُعْتَضِدِ بِاللهِ يُمْنَـاهُ مَرْتـعٌ مَرِيعٌ لأمَـالِ النُّفُوسِ السَّوائِمِ .

إِذَا نَشَرَتْ لَخَمٌ بِذِكْرَاهُ فَخْرَها طَوَتْ طَيِّءٌ مِنْ خَجْلَةٍ ذِكْرَ حَاتِمِ .

2- الكرم كما يظهر في مدحه للمعتضد بن عباد [1]:

وَ جَهِلْتُ مَعْنَى الجُودِ حَتىَّ زُرتُهُ فَقَرَأتُهُ فِـي رَاحَتَيْهِ مُفسِّرَا.

3- الشجاعة و القوة كما في تصويره للمعتمد [2]:

مُهِيبُ إِلتِفاتِ الطَّرْفِ سامٍ مُوَقَّر عَظِيمٌ إِذَا لاَحَتْ وُجُوهُ العَظائِمِ .

يُذِيبُ بِعَينيهِ العِدا غَيرَ نَاظِرٍ بِكَفَّيْهِ السُّهَا غَيرَ هادِمِ.

إِذَا نَظَرْتَ فيهِ المُلُوكُ تسَاقطَتْ لهُ نُكَّسَ الأبْصَارِ مِثْل العَمَائِم .

4- رجاحة العقل و الفصاحة و الخطابة كما في مدحه للمعتمد [3]:

رَقِيقُ حَوَاشِي الطبَعِ يَجْلُو بيَانُهُ وجُوه المَعَانِي واضِحَاتِ المباسِم .

و بارِعُ حُسْنُ الخَطِّ حَتَّى كَأَنَّما يُصَرِّفُ فِي القِرطاسِ رَاحَةَ رَاسِمٍ.

يهُزُّ مِنَ الأقْلاَمِ أَمْثِلة القنَا لهَا مِن لُطُوخِ المِسْكِ مِثْلُ اللَّهاذِمِ [4].

1-5-2-علاقـات الصّداقـة :

يتبين من خلال الروايات التي تحدثت عن علاقة ابن عمّار بالمعتمد أنها كانت من أكثر الأمور وضوحًا في حياته . فهي من الأخبار القليلة عنه التي حظيت بإجماع الرواة. و أثارت هذه العلاقة ، استهجانًا و تعجّبًا شديدين لدى النّاس لما جمعته من تناقضات وفروق ، فيصوّرها صاحب المعجب بقوله : « فلم تزل حاله معه تتزيد ، وموات خدمته له تقوى

(1) - مصطفى الغديري .شعر محمّد بن عمّار الأندلسي . ص 67.
(2) - مصطفى الغديري . المصدر نفسه. ص 104.
(3) - مصطفى الغديري. المصدر نفسه . ص 105.
(4) ــ اللهاذم : مفردها لهذم ، و هي السيف الحادة و كذلك السنان .

و تتأكد ، إلى أن صار ابن عمّار ألزق بالمعتمد من شعرات قصّه، و أدنى إليه من حبل وريده » [1] ؛ولا ندري مدى المبالغة في وصف هذه العلاقة ، ولا أشارت المصادر إلى تحديد زمنها و مدّتها [2]؛ وإن وجدت إشارات تؤكد أن علاقة جيدة ربطت بين الرجلين منـها ارتحالهما إلى إشبيلية سويًّا، و حضورهما جلسات أدبية، و اقتسامهما لذات الحياة التي اختاراها متنفسًا لهما .

أما بالنسبة إلى أسباب هذه العلاقة ، فنظن أن هناك أكثر من دافع يقرّب بينهما :فاستقرارهما بأشبيلية و تجاورهما فيها ، ثم التشابه في الطباع و السلوك و الميول والاهواء قوى أواصر التقارب بينهما، ووثّق علاقة الودّ و المحبة،يقول صاحب المعجب: « فنمت بينهما صداقة متينة ، ورفقة وشيجة الأواصر لما بين الاثنين من تقارب في العمر ، و انسجام في الأمزجة و الميول ، ثم إن طرف ابن عمّار و نادرته وبراعته زادت من تعق المعتمد به وملازمته » [3] . إضافة إلى ذلك فإننا لا نستطيع أن ننكر مكانة الشّعر في تكوين وشائج الصداقة بينهما ، و لعله يأتي في الدرجة الأولى قبل كل تلك الميول التي توفرت لديهما ؛ فابن عمّار كان شاعرًا ، و المعتمد هو الآخر لا يقل عنه شاعرية ، فهو « فذ في البلاغة ، طرف في الشّعر و الكتابة ، بارع النظم والنثر» [4]؛ ليكون الشّعر بذلك ، أول عامل مشترك قرب بينهما ، به تعارفا ، و عليه اجتمعا ، و لولا الشّعر ما كان ابن عمّار ليدخل البلاط ، وما كان المعتمد ليلتقي به هناك. ثم يأتي بعده جميع تلك الصفات المشتركة الأخرى التي اشتهرا بها ؛ هذا بالإضافة إلى ما كان يتمتع به ابن عمّار من شخصية جذابة مؤثرة في الفكر ، فهو « على ما يبدو شائق الحديث ، جذاب الشخصية ،

---

(1) - أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص173-174.

(2) — في سنة 450 هـ ، عندما قتل المعتضد ابنه الأكبر و ولي عهده إسماعيل متهما إياه بالخيانة و التآمر على حياته استدعى ولده الثاني المعتمد ليأخذ له البيعة بولاية العهد التي أصبحت شاغرة فنصبه لحاجته مكان ابنه الهالك . و بناء على ذلك يبدو أن اللقاء بينه - المعتمد - و بين ابن عمّار يكون قد تم لأول مرة في غضون تلك السنة ، أو في مستهل السنة التي تليها ، أي في سنة 451 هـ ، و هو الأقرب إلى المنطق والموافق لتسلسل الأحداث كما روتها المصادر الموثوق بها المؤرخة للقرن الخامس الهجري ببلاد الأندلس .انظر : ابن عذارى المراكشي . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب. تحقيق و مراجعة : ج.س كولان و اليفي بروفنسال .دار الثقافة . بيروت . لبنان . ط3 . 1983 .ج3 : ص 244 -249.

(3) — محمّد مجيد السّعيد . الّشعر في ظل بني عباد . ص30 .

(4) — لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الأعلام في من يوبع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . ص157.

طب باستهواء النفوس ، واجتلاب الالباب » [1]؛هذا فضلا عن موقفهما العدائي من المسيحيين و أنصارهم في تلك الفترة .

و من أطراف ما يروى عن أخبار صداقة ابن عمّار للمعتمد أثناء إقامتهما بشلب تلك القصة التي تدل في جوهرها على شدة تعلق المعتمد بابن عمّار وحبه له- و إن لم يصح الأخذ بها بحذافيرها - و سَنَرِدُهَا بكلام صاحبها لما فيها من سرد قصصي ممتع. قيل : « كان المعتمد قد استدعى ابن عمّار ليلة إلى مجلس أنسه ، على ما كانت العادة جارية به ، إلاّ أنه في تلك الليلة زاد ، في التحفّي به و البرّ له على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم المعتمد عليه : لتضعنّ رأسك معي على وساد واحد فكان ذلك . قال ابن عمّار : فهتف بي هاتف في النوم يقول : لا تغترّ أيّها المسكين ، إنه سيقتلك و لو بعد حين . قال : فانتبهت من نومي فزعًا ، و تعوذت ، ثم عدت ، فهتف بي الهاتف على حالته الأولى ، فانتبهت ، ثم عدت ، فسمعته ثالثة ، فانتبهت فتجردت من أثوابي و التففت في بعض الحصر ، و قصدت دهليز القصر مستخفيا به ، و قد أزمعتُ على أني إذا أصبحت خرجت مستخفيا حتى آتي البحر فأركبه و أقصد بلاد العدوة فأكون في بعض جبال البربر حتى أموت . فانتبه المعتمد فافتقدني فلم يجدني ، فأمر بطلبي ، فطُلبت له في نواحي القصر ، و خرج هو بنفسه يتوكأ على سيفه و الشمعة تحمل بين يديه ، فكان هو الذي وقع عليّ ، و ذلك أنه أتى دهليز القصر يفتقد الباب هل فتح ، فوقف بإزاء الحصير الذي كنت فيه ، فكانت مني حركة فأحس بي و قال : ما هذا يتحرك في هذا الحصير ؟ ثم أمر به فَنُفِضَ ، فخرجت عُريانًا ليس عليّ إلا السراويل. فلما رآني فاضت عيناه بالدموع و قال : يا أبا بكر ، ما الذي حملك على هذا ؟ فلم أر بُدًّا من أن صدقتُه ، فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها ، فضحك و قال : يا أبا بكر ، أضغاث أحلام ، هذه آثار الخُمار ، ثم قال لي : و كيف أقتلك ؟ أرأيت أحدًا يقتل نفسه ؟ و هل أنت عندي إلاّ كنفسي ؟ فتشكر له ابن عمّار و دعا له بطول البقاء ، وتناسى الأمر فنسيه ، و مرت على ذلك الأيام و الليالي ، إلى أن كان من أمر قتله ، فصدقت رؤيا ابن عمّار ، وقتل المعتمد نفسه كما قال ! » [2].

و من حكايات لهوهما تلك الحادثة التي تروي عن المعتمد أنه « مر ذات ليلة مع وزيره ابن عمّار بباب شيخ كثير التندير و التهكم ، فقال لابن عمّار : تعال نضرب على

(1) – علي أدهم . المعتمد بن عباد. دار القدس للطباعة و النشر و التوزيع. بيروت. لبنان. (د.ت). ص96.
(2) - أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص90.

هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه ، فضربا عليه الباب فقال : من هذا ؟ فقال ابن عباد ، إنسان يرغب أن تقد له هذه الفتيلة فقال : و الله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ، ما فتحته له ، فقال : فاني ابن عباد ، قال مصفوع ألف صفعة ، فضحك ابن عباد حتى سقط إلى الأرض ، و قال لوزيره ، امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول إلى الفعل ، فهذا شيخ ركيك . و لما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها : قل له هذا حق الألف صفعة التي كانت البارحة » [1].

مثل هذه و غيرها من حوادث اللهو و المجون تروي عن ابن عمّار و المعتمد العلاقة المتينة التي كانت بينهما ، و يبدو أن هذه العلاقة قد انفصمت أواصرها بمقتل ابن عمّار بيد صانع مجده ، ورافع همته ، حيث ضربه بطبرزين ضربات أزهقت روحه وأردته قتيلا ؛ لتتوقف معها حياة هذا العلم الأندلسي، و يستمر شعره يدعو إلى الوقوف عنده، وولوج عالمه الرحب، يغري بدراسته، و استكشاف عالمه ، و ستكون البداية بفتح بوابات الديوان و سياجاته.

---

[1] ـأحمد بن محمّد المقري التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .ج2 : 509.

2- بوابات الدّيوان و سياجاته :

2-1- بين يدي الدّيوان:

لم يكن ابن عمّار ذلك الوزير الماهر و السّياسي الظافر في الدولة العبادية تحت ظل المعتمد بن عباد و حسب ، و إنما كان قبل كل شيء شاعرًا مجيدًا ،إذ عرف شعره إقبال النقاد و إهتمام دارسي الأدب في الأندلس و خارجها ؛ و لقد رأينا كيف انفتحت أمامه أبواب إشبيلية وقت ما كان لا يملك إلا سحر شعره ، سحرًا استولى على قلب الملك الإشبيلي الذي أصبح من أكبر المعجبين به إعجابًا أداه إلى ضمه في سلك شعرائه و مقربيه [1].

و يمكن الإستدلال بما صرحت به المصادر الأدبية الأندلسية من أنه « كان من الشّعراء المجيدين » [2] و المكثرين ، بل هناك من وقف على ديوانه مجموعًا، و مرتبًا ترتيبًا على حروف الهجاء ؛ فابن الأبار صرح بأن أبا الطاهر محمّد بن يوسف التميمي السرقسطي[3] جمع شعر ابن عمّار ورتبه على حروف المعجم [4] ، أما صاحب الذخيرة فخصه بتأليف مستقل سماه " نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر ابن عمّار " ، و لم يذكر الطريقة التي انتهجها في جمع تلك الأشّعار ، ولا بداية جمعها من حياة الشّاعر [5] ؛ لكن هذه المصادر لم تصل إلينا إلا أسماؤها و الإشارة إلى النقول عنها ، أما المصادر المخطوطة لشعر ابن عمّار فيقول عنها مصطفى الغديري « إأنه لم يبق منها – حسب إطلاعه- إلا مخطوط الإسكوريال 448 الذي يتضمن مجموعة من قصائد الشّاعر المبثوثة – جزءًا أو كلا– في ثنايا مختلف المصادر، و كراسة القرويين ذات الوريقات الأربع عشر الذي عاثتا بها الأرضة و التربة » [1].

و يؤكد الغديري أن مخطوطة القرويين بالرغم من صغر حجمها لها أهمية كبيرة كونها تتضمن عبارات و أشطار شعرية لم تقف المصادر التي تضم أشّعار الشّاعر عليها ،ظنا

---

(1) - انظر : هذا البحث .ص30.

(2) - أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص85.

(3) –أبا الطاهر محمّد بن يوسف التميمي السر قسطي : المازني الأندلسي ، وزير من الكتاب و الأدباء ، اشتهر بالإنشاء ، و عارض الحريري في مقاماته بخمسين مقامة سماها " المقامات اللزومية " توفي بقرطبة سنة 531 هـ . انظر : خير الدين الزركلي . الإعلام .دار العلم للملايين . بيروت . لبنان .ط5. 1980 . ج7: 149.

(4) – أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبّار . الحلّة السّيراء .ج2 : ص 134.

(5) - أبو الحسن علي بن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم 2 . المجلد 1 : ص 477 .

(1) – مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي .ص18.

منه أنها جزءًا من الديوان الذي جمعه أبو الطاهر التميمي السرقسطي، أو جزءًا مما وسمه ابن بسام بـ " نخبة الاختيار في أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمّار" [2] ؛وربما هذا ما ذهب إليه عبد الواحد المراكشي حيث قال : « ولشعره ديوان يدور بين أهل الأندلس » [3].

و منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان أقدم الباحث العراقي صلاح خالص على نشر شعر ابن عمّار و دراسته في كتابه : محمّد بن عمّار الأندلسي :- دراسة أدبية و تاريخية - ، حيث طُبِع الكتاب بمساعدة وزارة المعارف في مطبعة الهدى ببغداد .سنة 1957 م ، و هي الطبعة الأولى و الوحيدة و التي جعلها في قسمين ؛ القسم الأول تناول فيه مختلف جوانب حياة الشّاعر ثم جعل الديوان في القسم الثاني منه ؛ و كانت حصيلة ما جمعه ثلاثمائة و سبع و ثلاثين (337) صفحة [4] . بما في ذلك الصفحات المخصصة لفهرس موضوعات الدراسة ، و موضوعات الشّعر و فهرس لمطالع القصائد و قوافيها و بحورها ، و الصفحات المخصصة لذكر أهم المصادر العربية و الأجنبية التي اعتمد عليها في ذلك .

و يقول الغديري عن هذا العمل، إنه« اعتراه نقص نتيجة سوء أحوال هذه المصادر التي أصيبت بالخرم و التلف نتيجة الرطوبة و الأرضة، أو نقله الأشّعار من مصادرلم تكن قد حققت بعد ، أنذالك، أو نشرت نشرة لم يراع فيها قوانين التحقيق العلمي،من أمثال نفح الطيب للمقري والنخيرة لابن بسام، و الحلّة السيّراءلابن الأبّار » [5]. و هذا الأمر هو الذي دفعصاحب كتاب(محمّد بن عمّار الأندلسي) إلى لملمة شعر هذا العلم من جديد و إضافة ما فات المرحوم صلاح خالص [1].

من هنا كان اعتمادنا في دراستنا هذه ، على ديوان ابن عمّار قراءة و توثيق وتعليق مصطفى الغديري ، مطبعة شمس ، وجدة ، الطبعة الأولى ، 2001 ، و اعتمدنا على هذه

(2) - مصطفى الغديري . المصدر نفسه .ص18.
(3) - أبي محمد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص164.
(4) – ضم القسم الأول : مائة وإحدى و سبعين (171) صفحة خاصة بالدراسة ، بينما ضم القسم الثاني الخاص بالديوان مائة و خمسين (150) صفحة ، إضافة إلى صفحات الفهارس .
(5) - مصطفى الغديري . مقدمة الدّيوان .ص02
(1) - مصطفى الغديري . شعر محمّد بن عمّار الأندلسي .ص19.

الطبعة بسبب توفر أغلب أشّعار ابن عمّار، فيها إضافة إلى أنها أكثر دقة ، وأحدثها صدورًا .

إن ديوان ابن عمّار الذي جمعه مصطفى الغديري جاء مرتبا على حروف الهجاء لتيسير عملية البحث على قراء هذا الشّعر ، كما حاول ضبط أشّعار الشّاعر بالشكل التام و الإشارة في الهوامش إلى مصادر تخريجها و القراءات المختلفة في المصادر المعتمدة ، مع شرح بعض الألفاظ و العبارات التي ظنها صاحب الديوان أنها صعبة بالنسبة للقراء .
وخلت قصائد من عنوان يتصدرها ، و لذلك قدم الغديري كل قصيدة بكلام يكشف عن مناسبة القصيدة و الهدف من نظمها . فجاء الديوان كما جمعه ، وضبطه صاحبه يحتوي على ست و ثمانين (**86**) قصيدة ، مستوعبًا ستة و عشرين وثمانيمائة (**826**) بيتا . موزعة على البحور الشّعرية التي يشير إليها الجدول رقم 01:

الرقم	البحر	عدد القصائد
01	الكامل	28
02	الطويل	22
03	البسيط	10
04	المتقارب	07
05	الوافر	06
06	الخفيف	04
06	المجتث	04
07	المنسرح	02
07	السريع	02
08	الرمل	01
المجموع الكلي للقصائد		**86**

جدول رقم : 01: يوضح البحور الشّعرية المستخدمة في الديوان .

و هكذا يكون عدد البحور التي نظم فيها ابن عمّار شعره كله عشـرة (**10**) بحور[1] . من مجموع الستة عشـر (**16**) بحرا التي ينضوي تحتها الشعر العربي كله .

أمـا مـن حيـث توزيـع الأبيـات[2] علـى الأغـراض الشّـعرية التـي نظـم فيهـا شـعره فيوضحها الجدول رقم :02 :

الـرقـم	الغرض الشعري	عدد النصوص "القصائد"	النسبة المئوية
01	المــدح	17	% 19.76
02	الإخوانيات	14	%16.27
03	الوصـف	08	%09.30
03	الغـزل	08	%09.30
04	الهجاء و التعريض	07	%08.13
04	الاستشـفاع	07	%08.13
05	الاستعطاف	06	%06.97
06	العتاب و الاعتذار	05	%05.81
07	الأغراض الأخرى [1]	14	%16.27
المجمـوع الكلـي للنصوص الشعريـة " القصائـد "			**86**

جـدول رقـم :02 : يوضـح عدد نصوص الأغراض الشّعرية و النسبة المئوية .

(1)- لقد كان المضارع ، المقتضب ، و الهزج ، و الرجز ، و المديد من البحور المهملة التي لم يستخدمها الشّاعر لأنها لم تدُر في شعر كثير من الشّعراء القدامى و لأنها لم تناسب الأغراض التي يتحدث فيها الشّعراء.

(2) - لنعرف نسب توزيع موضوعات شعر ابن عمّار على قصائد الديوان و مقطوعاته اتبعنا تعريف ابن رشيق لكل من القصيدة و المقطوعة حيث يقول : " إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة(...) و من الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة و جاوزها و لو ببيت واحد " . انظر : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشّعر و أدابه و نقده .ج 1: ص 164.

(1) - أغراض أخرى : ضمت كل من غرض : الحنين ، الإجازة و الإستجازة ، الإستيحاش ، الاعتراف بالجميل ، المراجعة ، الاعتداد بالنفس ، استنجاز حاجة .

إنّ هذا الانتاج الشّعري لم يتسم بما يفاجئنا ، فنستخلص :إن ابن عمّار شاعرٌ ينتهج نهج القدماء،و يتمثل إلى حد بعيد التّقاليد الموروثة عن الشّعراء الذين سبقوه ،فلا عجب إذن أن نجده يستخدم نفس الأغراض الشّعرية المعروفة .

و تدل النماذج التي بين أيدينا على أن ابن عمّار كان يشارك في أغلب الموضوعات ، نظرا لما كانت عليه آراؤه و أفكاره ، و نظرا لما واجهه من مشاكل مختلفة في مجتمعه ؛ ولكنه برز بصفة خاصة في المدح و الإخوانيات و الغزل والوصف؛ و نلاحظ من خلال الجدول رقم :02: الذي يوضح الأغراض الشّعرية للديوان :إن غرض المدح هو أكثر الأغراض دورانًا حيث بلغ عدد نصوصه سبعة عشر (**17**) نصا يمثل (19.76 %) من حيث النسبة المئوية . و قصائد ابن عمّار المدحية هاته جمعت بين ما يختص بالنسيب حيث يتعرض الشّاعر فيها إلى التغزل بالحبيبة تارة أو إلى ما يقوم مقامه تارة أخرى – ونعني بذلك ما تلهمه به الطبيعة الغناء ،ولاسيما طبيعة إشبيلية – وبين ما يختص بالمدح ولاسيما مدح الملك الأشبيلي و نجله .

كما جاء غرض الإخوانيات في طليعة الأغراض التي أجاد فيها ابن عمّار ، فقد بلغ عدد نصوص هذا الغرض أربعة عشر (14) نصا بنسبة مئوية بلغت (16.27 %) وما نريده من شعر الإخوانيات « هو تلك القصائد التي تتناول أوجه العلاقات الاجتماعية بين الشّاعر و بين شخصيات ذلك المجتمع بعيدًا عن تلك التي تتصف بكونها علاقات بحتة كالغزل ، أو كونها مرتبطة بمنافع ذاتية كالمديح ، أو التي ترتبط بنفسيته كالهجاء » [1] .

و ابن عمّار واحدُ من أولئك الشّعراء الذين نظموا في الإخوانيات ، وقت كان من وزراء الدولة العبادية ، حيث أكسبه هذا المنصب« شهرة عريضة تجاوزت آفاق المملكة التي كان يخدمها ، وخوله من الاحتكاك و الاتصال بشخصيات بارزة مرموقة في دويلات أخرى ، فكثرت معارفه ، و تعدد أصحابه من ذوي الجاه و الثراء ، و كان الكثير منهم يقرض الشعر فاتخذوه وسيلة للتخاطب و للتراسل بينهم » [2].

---

[1] – محمّد عويد الطريولي . الأعمى التطيلي شاعر عصر المرابطين " دراسة موضوعية فنية " . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة .ط1 .2005 .ص 74 .

[2] – عمر ربوح.أبو بكر محمّد بن عمّار الأندلسي. رسالة ماجستير غير منشورة (مخطوط). كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الاجتماعية .قسم اللغة العربية و آدابها. جامعة باتنة.1995 - 1996.ص 187.

و الوصف باب واسع في شعر ابن عمّار ، و قد أفسح له مكانًا رحيبًا في ديوانه ، إذ بلغ عدد نصوصه ثمانية (08) نصوص بنسبة مئوية بلغت (09.30%) . فتوسع فيه و نظم مقطعات كثيرة ، فوصف الخمر و الطبيعة ، و وصف القصر و الخرشف و القلم و غير ذلك .

و يحتل الغزل مكانة طيبة في شعر ابن عمّار، وبلغ عدد نصوصه ثمانية (08) نصوص بنسبة مئوية بلغت (09.30%) . ولكن أغلبه لا يأتي مستقلا ، و إنّما يأتي ضمن أغراض أخرى كالمدح و الوصف ، في حين لم يرد غرض الفخر كثيرا في الديوان نظرا للحالة التي مرَّ بها هذا الشّاعر[3]. وجاء بين ثنايا قصائد المديح ، يفتخر بنفسه وعدم ذله أو هوان نفسه أمام الممدوح ، و يشير إلى عزة نفسه و أنفتها ،محاولاً مواجهة الخطوب، و مقارعة النوائب.

و يقل شعره في الموضوعات الأخرى إذ نجد له سبعة (**07**) نصوص في كل من غرض الهجاء و التعريض و غرض الاستشفاع بنسبة مئوية بلغت (08.13%) ، وستة (**06**) نصوص في غرض الاستعطاف بنسبة مئوية بلغت (06.97%) ، و خمسة (05) نصوص في العتاب و الاعتذار بنسبة مئوية بلغت (05.81%) ، و النسبة المئوية الباقية مثلت بقية الأغراض قليلة التواتر في شعره.

و في نهاية الدّيوان أثبت الغديري الفهارس التي أصبحت مفاتيح كل المؤلفات والدراسات القديمة منها و الحديثة ، كفهرس الأعلام البشرية ، و فهرس الأعلام المكانية و الجغرافية ، و فهرس المضمنات الشّعرية ، و فهرس لأهم المصادر العربية والأجنبية التي اعتمد عليها في ذلك .

ونخلص ممّا تقدم إلى: إنّ العمل الذي قام به مصطفى الغديري في جمع ديوان الشّاعر ابن عمّار ينّم عن الصبر و المعاناة ، كون فكرة إخراج شعر ابن عمّار قد راودته منذ يزيد على عقد من الزمن [1] . و الغديري بعملة هذا ، قدم خدمة معتبرة للأدب العربي عامة ، و للأندلسي منه خاصة .

---

[3] ـــ يعني الأصول الخاملة و المغمورة و الحياة اليائسة التي عاشها في الماضي ، فليس لديه ما يفخر به ، بل لديه ما يمكن ان يخجل منه .انظر :هذا البحث.ص29.

[1] ـــ انظر : قول مصطفى الغديري في تصدير هذا الديوان . ص1 .

2-2-آراء النّقاد في شعره :

شعر ابن عمّار مرآة عاكسة لعصره ، و صورة صادقة للفن الخالص ، والأدب العالي في القرن الخامس الهجري ، و لأنّ ّالشّعر هو ترجمة للمشاعر والأحاسيس و الأفكار كانت أشّعاره تضم كل ما أحسّ به في حياته المريرة من الحنين و اللوعة ، و السعادة و التعاسة ، و الخوف و الحسرة ، وقد دفعته الأحاسيس النفسية إلى أن يعبر عن أعماق نفسه في جميع حالاتها ، كما دفعته حياته الخاصة في رحاب الخلفاء والأمراء، وما كان يتنسمه من عبير الحياة الرغدة في قصورهم إلى وصف المناظر الطبيعية ، و الوقوف على ضفاف الأنهار ،و أن ينطلق لسانه بتصويرها مبينًا أثرها في نفسه ، فنافس أحسن الأدباء و أبرعهم؛ و لم يتم له ذلك إلا بنبُوغه الذي اعترف له به الكثيرون من النقاد و الأدباء .

و من أهم هؤلاء ابن بسام الذي يؤكد على ذلك التميز و البراعة في ميدان الشّعر حيث يقول : « إنه كان شاعرًا لا يجاري ، وساحرًا لايبارى» [2] ، و يضيف في وصفه كل ما يبين إجادته في ميدان الأدب ،ويقول : « و كيف لا يرغب في شعره ، و يتنافس فيما ينفث به سحره و هو يضرب في أنواع الابداع بأعلى السهام ، و يأخذ من التوليد و الاختراع بأوفر الأقسام » [1].

كما يشيد صاحب المعجب بنظمه، يقول : « كان من الشّعراء المجيدين » [2] ، و يثبت صلاح خالص مكانة شاعرنا في بلاد الأندلس في يقوله : « نقاد عصره والعصور التي تلته في الأندلس يرون فيه شاعرًا كبيرًا لا في قصائده هذه التي أوحاها له القلق و الألم و الخوف ، و إنما في شعر المناسبات الذي نظمه أيضا ، لأنهم يرون فيه روعة النظم و التفنن في استعمال الألفاظ و التشبيهات و غير ذلك من محسنات البديع و البيان » [3] ، و يضيف واصفا براعته في النظم : « إن ثقافته الأدبية واللغوية كانت من العمق و القوة بحيث تسمح له أن ينظم القصائد المتينة التركيب ، المتماسكة العبارات الصحيحة

---

(2) - أبو الحسن علي بن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .القسم 2 . المجلد 1: ص369.
(1) - أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم 2 . المجلد 1: ص369.
(2) - أبي محمّد عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب .ص85.
(3) ــ صلاح خالص . محمّد بن عمار الأندلسي ــ دراسة أدبية و تاريخية ــ ص 171.

الوزن ، و نستطيع أن نلمس هذه الظاهرة في مفرداته و في تراكيبه و تعابيره و صياغته الشعرية » [4].

و قد أجمع هؤلاء النقاد على شاعرية ابن عمّار و ما امتاز به شعره من خصائص فنية متميزة من حيث التعبير ، و رصانة الأسلوب ، و اطلاعه الواسع على التراث الشّعري جعله يوضع في مقدمة قائمة شعراء الأندلس المبرزين خلال القرن الخامس الهجري ، و من ثمّة سنحاول و من خلال ديوانه الشّعري و الأغراض التي عالجها ، التّعرف على شاعريته-و الأمر ليس بهيّن- ،و عالمه السحري الإبداعي، و هو مجال فصلنا القادم.

(4) - صلاح خالص. المرجع نفسه. ص23.